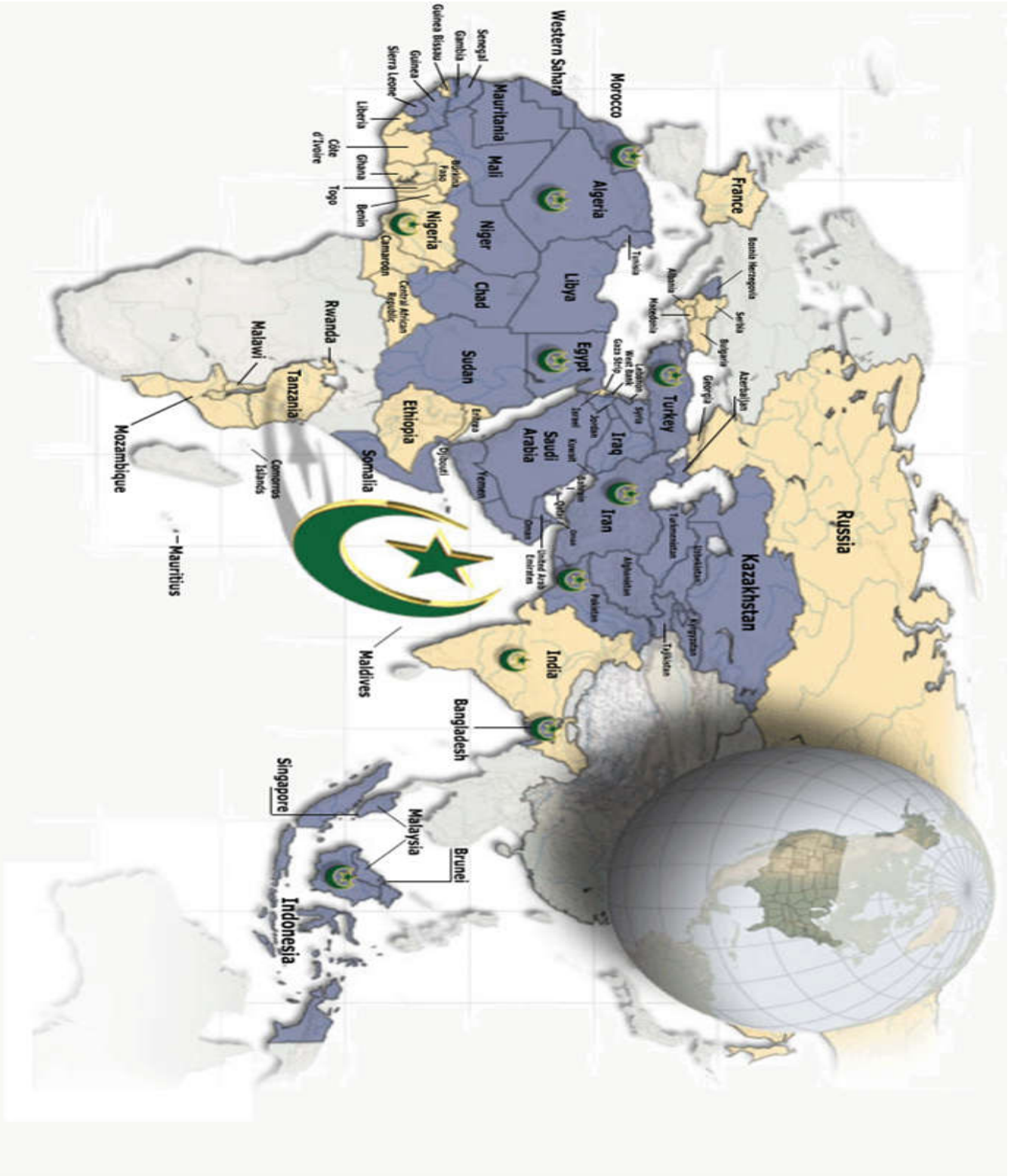


زعمية الشعوب بالانتماء للدين و الوطن



تعميق الشعور بالانتماء للدين و الوطن

مقدمة

بسم الله و الصلاة و السلام على رسول الله ..

هذا بحث متواضع حول الانتماء للدين و الوطن ، ليس بالطويل المغرق في التفاصيل و الإسهاب ، و لا بالقصير غير الوافي بالقصد منه .. و إنما يجنى منه فائدته إن شاء الله كل من طالعه ..

و موضوع البحث - تعميق الشعور بالانتماء للدين و الوطن - موضوع له أهميته في حياة البشر في كل مكان و زمان ، و لا يختلف أحد على أن أهم عناصر مقومات شخصية الإنسان و أهم انتماءاته هي لدينه الذي يحيا وفق منعاجه و يدير أمور حياته وفق مقياسه ، ثم الوطن الذي إليه ينتسب و على أرضه نشأ و مع عوامله الطبيعية و التاريخية و البشرية اكتسب الأساسيات التي بنيت عليها حياته و تكونت منها ملكاته ..

و مما لا شك فيه أيضاً أن هذا الانتماء يوجب حقوقاً و واجبات على الإنسان تجاه دينه و وطنه ، و لا ينبغ العطاء إلا مع الشعور بالحب و الولاء ، فإذا ما تحقق هذا الشعور وجد الإنسان نفسه مدفوعاً للذود مع دينه و وطنه و الحرص على تقديم كل خير لهما و دفع كل شر عنهما .. و إن أفنى نفسه في هذا السبيل ..

و قد شمل هذا البحث خمسة أقسام ، موضوع كل منها يدور حول أحد فروج الانتماء للدين و الوطن و يختتم بسرد للمراجع التي اعتمد عليها البحث في كل قسم ، و هي كالتالي :-

١- التعريف : مفهوم الانتماء و الوطنية ، و اتساع دائرة الانتماء إلى ما وراء الوطن أو القطر السياسي المحدود ، و بيان أولوية الانتماء للوطن الإسلامي أو الأمة الإسلامية الأكبر .. و يعد هذا القسم مدخلاً أو أساساً تقوم عليه الأقسام التالية له .

٢- الانتماء للدين و الوطن - تكامل لا تنافر : و فيه بيان أن الانتماء للوطن و حب الوطن هو أحد توجيهات الدين ، و هو نتيجة تابعة للانتماء للدين ، و فيه سوق للأدلة مع القرآن و السنة على الحب على حب الوطن و أن تلك فطرة و طبيعة بشرية محمودة .. كما أن بهذا القسم بيان حقوق المواطنة لغير المسلمين في الدولة الإسلامية ، و أنها مكفولة لهم باعتبارهم مواطنين كاملين الأهلية .

٣- واجب الدفاع مع الوطن : فرضية الدفاع مع الوطن و الجهاد في سبيل حمايته ، و الاستدلال بالآيات القرآنية و الأحاديث النبوية و الأحكام الفقهية لتدعيم هذا المبدأ .

٤- الأقليات الإسلامية بين الانتماء للدين و الانتماء للوطن - لمحة فقهية ، لمحة إجتماعية : يدور الحديث في هذا القسم حول الأقليات الإسلامية في المجتمعات الغربية ، و مشكلات الجمع بين

الانتماء للدين و الانتماء للوطن الذي يحيون فيه .. و فيه إشارة إلى أهمية الاندماج في المجتمع مع باب الحفاظ على حقوق المواطنة ، مع الحفاظ على الأصالة الدينية الإسلامية و عدم تعطيل إقامة أحكام الإسلام و شعائره .. و فيه أيضاً إشارة إلى المشكلات الفقهية للأقليات الإسلامية .. و لا تغفل هنا أيضاً واجب تلك الأقليات في العمل الإسلامي في بلدانهم .

٥- الانتماء و خطر التغريب : تتعرض بلادنا الإسلامية لأخطار الغزوات الفكرية و الثقافية التي تهدد بالتغريب في أوطاننا ، و الشعور بعدم الانتماء للمجتمع و الدين و التاريخ و الثقافة الأصيلة في المجتمع .. و في هذا القسم عرض لهذه المشكلة و كيفية المواجهة لها .

و الله الموفق و الهادي إلى سواء السبيل ..

م/ رانيا المغربي - القاهرة - محرم ١٤٢٧ هـ

التعريف : الوطن بمعناه الواسع (الأمة / الوطن الإسلامي) - الوطن بمعناه المحدود (القطر السياسي)

الوطنية هي المشاعر والروابط الفطرية - والتي تنمو بالانتماء - لتشد الإنسان إلى الوطن الذي استوطنه ووطنه فيه ..

والوطن في اصطلاح العربية - كما جاء في (اللسان) لابه منظور - هو "المنزل الذي يمثل موطنه الإنسان ومحلّه .. ووطنه بالمكان، وأوطنه: أقاليم، متخذاً إياه محلاً وسكناً يقيم فيه.. " ولا يغيره عنه علاقة الوطنية التي تربط الإنسان بوطنه، إقامته - الاختيارية أو القسرية - في مواطنه أخرى غير وطنه الأصلي.. وقديماً قال الشاعر ابه برى:

كَيْمًا تَرَى أَهْلَ الْعِرَاقِ أَنِّي أَوْطَنْتُ أَرْضًا لَمْ تَكُ مَعَهُ وَطَنِي

وإذا كانت العربية، وتراثها الثري والشعري، قد عرفت مصطلح "الوطن" منذ فجر هذا التراث، فإن القرآن الكريم يلفت أنظارنا إلى أن العربية تعبر عن الوطن، أيضاً، بمصطلح "الديار" {لَا يَنْهَاجُكُمْ اللَّهُ عَنِ الدِّيَارِ لَمْ يُقَاتِلْكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجْكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} [الممتحنة : ٨].

أما السنة النبوية، فلقد جمعت بعض أحاديثها بين مصطلحي "الوطن" و "الدار": (هي وطني وداري).. وجمعت بعضها الآخر بين مصطلحي "الوطن" و "البلاد": (ثم يرجع الناس إلى بلادهم وأوطانهم..).

وإذا كانت معاجم العربية لم تقف فقط عند التعريف اللغوي للوطن ، وإنما أشارت أيضاً إلى فطرة الوطنية التي تجمع، بالحب، بين الإنسان و وطنه.. وذلك على النحو الذي رأيناه في (أساس البلاغة) - الزمخشري - حيث يقول عن فطرة الوطنية وحب الوطن: "وكلّ يحب وطنه وأوطانه ومواطنه"!.. فإن التعريف الشرعي للوطن يشير هو الآخر إلى هذا المعنى "فالوطن الأصلي، عند أهل الشرع، يسمى بالأهلي، ووطنه الفطرة والقرار، وفيه يكون مولد الإنسان ومأهله ومنشأه" ..

و يتسع تعريف الوطن ليشمل ما هو أبعد من البقعة المحدودة من الأرض التي نشأ فيها الإنسان .. فالحدود الإقليمية السياسية التي تحد البلاد لا يجب أن تفهم على أنها حواجز أو موانع تحد تميزاً أو تصنيفاً من أي نوع بين أهل كل بلد و آخر .. فهناك من الروابط ما يسمو و يفوق الحدود الجغرافية ، و يتجاوزها فوق مطية الدير و العقيدة و الأخوة الإسلامية التي تربط بين المسلمين في أقطار الأرض شتى .. فالانتماء للوطن الأكبر .. الوطن الإسلامي .. هو ما تتميز به الأمة الإسلامية على غيرها من الأمم .. تلك الرابطة و الأخوة الجامعة التي لا تعترف باختلاف الأجناس و اللغات هي التي تشعل العزة في نفس المسلم حية يعلم أن كل أرض ترتفع فيها راية الإسلام هي أرضه ، و كل من نطق بشهادة الإسلام

و عمل بمقتضاها هو مه أهله .. {المؤمنون و المؤمنات بعضهم أولياء بعض} [التوبة : ٧١] .. {وَإِنْ اسْتَنْصَرُواكُمْ فِي الدِّينِ فَحَلِّيْكُمْ النِّصْرَ} [الأنفال : ٧٢]..

و مه هنا ، فلا يلبق بالمسلم أن يؤخر ما قدمه الله ، و يضح ما رفعه الله ، فيتعصب لقومية أو انتماءات أخرى تقيم تفرقاً و عداوات بين أهل الإسلام و تؤلبعهم بعضهم على بعض ، بل نجد ما موروث باحتواء الخلافات الناشئة بين المسلميه حتى لا تتفرق جماعتهم و تنكسر شوكتهم ، و حتى تبقى الرابطة الأقوى بيننا دائماً هي وحدة العقيدة الإسلامية ، فيذوب فيها أي شقاق راجع لتعارض المصالح أو اختلاف الأهداف في مجال أو آخر .. {و إِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأْضَلُّوا فَأْضَلُّوا بَيْنَهُمَا ، فَأْضَلُّوا بَخْتِ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْآخَرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْخِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ ، فَأِنْ فَاءَتْ فَأْضَلُّوا بَيْنَهُمَا بِالْحَدْلِ و أَقْسَطُوا إِنْ اللَّهُ يَجِبُ الْمُقْسَطِينَ} [الحجرات : ٩] .

الدعوات القومية في العالم الإسلامي :-

شجع الاستعمار الغربي انتشار الدعوة إلى القوميات بين الشعوب الإسلامية (كالفرس في إيران ، و الأكراد في العراق ، و البربر في المغرب ، و البنغال في باكستان) ؛ لتمزيق هذه الشعوب و تفريقها و إيجاد الصراعات و العداوات بينها لاستنزاف خيراتها و جهدها و تمزيق أوصالها . فجعلت الرابطة القومية بدلاً عن الرابطة الإسلامية ، و بانتشار التيارات القومية انهارت الرابطة الإسلامية كعقيدة جامعة تجمع بين المسلمين في شتى بقاع الأرض .

و كان البدء في تركيا عاصمة الخلافة ، فنشأت القومية الطورانية تطالب بتتريك تركيا لتكون تركيا فقط للأتراك ... و في المقابل أوجدت القومية العربية .. و النتيجة ثورة عربية ضد تركيا ، يحارب المسلمون فيها المسلمين ، و انضم العرب الثائرون إلى جيوش الحلفاء ضد تركيا !!

و لأن ما زال الغرب يثير الدعوات القومية بين الشعوب الإسلامية في بقاع شتى من العالم الإسلامي .. كما أحييت النعرات القديمة لتعيد الجاهلية الكافرة .. فأحييت النعرة الفرعونية في مصر ، و ظهر شعار "مصر للمصريين" ، و نودي بتكويين سوريا الكبرى في بلاد الشام (يرجو الحزب القومي السوري الذي أسسه أنطون سعادة اللبناني في الثلاثينات إلى قيام القومية السورية مستقلة عن القومية العربية مستمدة من النهضة السورية و تاريخها) .. و نودي بالقومية الآشورية في العراق .

و معلوم أن الإسلام إنما جاء لانتزاع هذه النعرات ، فجمع في أول دعوته أبا بكر العربي القرشي ، و بلال الحبشي ، و صهيب الرومي ، و سلمان الفارسي

القومية العربية :-

تعريفها : حركة سياسية متعصبة تدعو إلى تمجيد العرب و إقامة دولة موحدة لهم على أساس من رابطة الدم والقربى و اللغة و التاريخ ، و إحلالها محل رابطة الديه ، و هي صدى للفكر القومي الذي سبق أن ظهر في أوروبا .

نشأتها و مبادئها :

ظهرت في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي و أوائل القرن العشرين متمثلة في حركة سرية تؤكف مع أجلها الجمعيات و الخلايا ، ثم تحولت إلى حركة علنية في شكل جمعيات أدبية . و قد ظلت في بدايتها محصورة في نطاق الأقليات غير المسلمة كتنصاري الشام خاصة في لبنان ؛ و ذلك لأن هذا الفكر يثير العداوة مع الدولة العثمانية المسلمة و يعمقها ، كما أن هذه الدعوة كانت تمثل وقتها رد فعل لظهور الفكر القومي الطوراني في تركيا ، و قد تجاوب مع هذه الدعوة لإحياء القومية العربية بعض من أبناء المسلمين الذين تأثروا بها .

بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى غدر الحلفاء بالعرب الذين ساعدوهم ضد تركيا ، و قسموا بلاد المسلمين (طبقاً لمعاهدة سايكس - بيكو بين إنجلترا و فرنسا) لتكون تحت حماية دول الغرب و وصايتهم .. كما ألقى أتباع القومية التركية الخلافة الإسلامية .

أصبحت الدعوة إلى القومية العربية ذات تيار شعبي عام بعد استقلال كثير من الدول العربية ، خاصة مع تبني "جمال عبد الناصر" لهذه الدعوة و تسخيرهم كل إمكانيات بلاده و أجهزة إعلامه لخدمة هذه الدعوة .

بعد "ساطح الحصري" رائد القومية العربية و أشهر دعواتها و أهم مفكرها ، يليه في الأهمية "ميشيل عفلق" (نصراني مؤسس حزب البعث القومي) .

يرى دعاة القومية العربية أن أهم المقومات التي تقوم عليها القومية العربية هي :
- اللغة : و هي ليست بالجامعة و لا المفردة ، فلم رأينا من دول مشتركة في اللغة و مختلفة الوجهة ، و دول متباينة تبايناً كبيراً في لغاتها و استطاعت أن تتوحد ، مثل دول الاتحاد الأوروبي .

- الأرض : بعض الدول التي هي عربية الآن لم تصبح عربية إلا بعد الفتح الإسلامي لها ، مثل مصر و دول شمال أفريقيا ، فهي جميعها مدينة للإسلام بعروبيتها .

- التاريخ : أي تاريخ؟! تاريخ العرب قبل الإسلام لا علاقة له بحياتنا المعاصرة و ليست له أية خصائص تجعلنا نتنسب إليه أو نحافظ عليه ، و تاريخهم بعد الإسلام أوجده رسالة الإسلام فهي بذلك العنصر الأول و الأخير الذي يجب أن تعتمد عليه القومية العربية في نهضتها الحديثة .

- الآمال و الآلام المشتركة : ليس للآلام و الآمال ثبات ، فإن اتفقت أحلامنا اليوم فغداً تختلف .

يسكت بعض دعاة القومية العربية عن الاله ، بينما يصدر البعض الآخر بضرورة إبعاد الاله عن الروابط التي تقوم عليها القومية العربية ؛ حتى لا يتسبب القول بذلك في تمزق الأمة لوجود عرب من غير المسلمين .

تبنى القومية العربية شعار "الاله لله و الوطن للجميع" ، فأخوة الوطن قبل أخوة الاله . و يرى دعاةها أن الوحدة العربية حقيقة ممكنة ، أما الوحدة الإسلامية فهي حلم له يتحقق !!

يرى دعاة القومية العربية أنها رابطة جامعة يلتقي فيها على قدم المساواة النصراني العربي ، و اليهودي العربي ، والملحد العربي ، مع المسلم العربي .

من أقوال مفكرها :

- نحن عرب قبل موسى و عيسى و محمد صلوات الله و سلامه عليهم .
- إن العبقريّة العربية عبرت عن نفسها بأشكال شتى ، فمثلاً عبرت عن نفسها بشريعة حمورابي ، و مرة أخرى بالشعر الجاهلي ، و نالته بالإسلام .
- أن العروبة هي ديننا نحن العرب المؤمنيه العريقيه من مسلميه و مسيحييه ؛ لأنها وجدت قبل الإسلام و قبل المسيحية ، و يجب أن نغار عليها كما يغار المسلمون على قرآن النبي ، و المسيحيون على إنجيل المسيح .

- يقول شاعرهم : سلامٌ على كفرٍ يوحد بيننا و أهلاً و سغلاً بعده بجحيم

يحمل هذا الفكر حالياً الكثير من الشباب العربي ، و يوجد العديد من الأحزاب القومية في البلاد العربية ، كحركة الوحدة الشعبية في تونس ، و حزب البعث في سوريا و العراق ، و الحزب الناصري في مصر ، و بقايا الناصريه في بلاد الشام .

حكم الإسلام في الدعوة إلى القومية العربية :-

قال عنها الشيخ ابن باز رحمه الله : (دعوة جاهلية إحادية تهدف إلى محاربة الإسلام و التخلص من أحكامه و تعاليمه) ، و قال عنها أيضاً : (هي دعوة باطلة و خطأ عظيم و مكر ظاهر و جاهلية نكراء و كيد سافر للإسلام و أهله) .

تتضمن موالاتة الكفار من غير المسلمين من العرب ، حيث تساوي بينه و بينه العربي المسلم ، بل و تقدم الكافر العربي على المسلم غير العربي ، و تتخذ من كفار العرب بطانة يستعان بها و يعتمد عليها و تسلّم مقاليد أمور المسلمين .

و جاء في كتاب "أساليب الغزو الفكري" : الدعوة إلى القومية العربية أو غيرها من قوميات (كالفارسية و الطورانية و البربرية و الكردية) باطلة ، و بطلان الدعوة إليها مما هو معلوم من

ديه الإسلام بالضرورة ؛ لأنها منكر ظاهر و جاهلية نكراء و كيد سافر للإسلام و أهله ، و ذلك من وجوه أربعة :-

أولاً : لأنها تفرق بين المسلميه و تفصل المسلم العجمي عن أخيه العربي ، فهي بذلك تخالف مقاصد الإسلام الذي يدعو إلى الاجتماع و الوئام ، قال تعالى : { و اعتصموا بحبل الله جميعاً و لا تفرقوا } [آل عمران : ١٠٣].

ثانياً : لأنها من أمر الجاهلية ، فهي تدعو إلى غير الإسلام ، و كل ما خرج عن دعوة الإسلام و القرآن من نسب أو بلد أو جنس أو مذهب أو طريقة فهو من عزاء الجاهلية كما يقول الشيخ ابن تيمية رحمه الله مستشهداً بقوله صلى الله عليه و سلم موجهاً خطابه إلى جموع الأوس و الخزرج عندما تشاجرا : (أبدعوى الجاهلية و أنا بينه أظهر كم؟) .

و النصوص في ذلك كثيرة ، منها :

- ما رواه مسلم أن النبي صلى الله عليه و سلم قال : (ليس منا من دعا إلى عصبية و ليس منا من قاتل على عصبية و ليس منا من غضب لعصبية) . و لا ريب أن دعاة القومية يدعون إلى عصبية و يغضبون لعصبية و يقاتلون على عصبية .

- و قوله : (إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يبغى أحد على أحد و لا يفخر أحد على أحد) ، و لا ريب أيضاً أن الدعوة إلى القومية تدعو إلى البغى و الفخر ، و إنما هي فكرة جاهلية تحمل أهلها على الفخر بها و التعصب لها . و الإسلام بخلاف ذلك : فهو يدعو إلى التواضع و التحاب في الله ، و أن يكون المسلمون الصادقون من كل أجناس بني آدم جسداً واحداً و بناءً واحداً يشد بعضهم بعضاً و يألم بعضهم لبعض ، و في الحديث الصحيح : (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضهم بعضاً) ، و فيه أيضاً : (مثل المؤمنين في توادهم و تراحمهم و تعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر و الحمى) .

ثالثاً : لأنها تؤدي إلى موالاتة الكفار العرب و ملاحقتهم ، و في ذلك مخالفة لنص القرآن الكريم و السنة الدالة على وجوب بغض الكافرين و معاداتهم و تحريم موالاتهم و اتخاذهم بطانة ، كقوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ } [المائدة : ٥١] .. و القوميون يدعون إلى التمثل حول القومية العربية ، فيوالون لأجل ذلك كل عربي من يهود و نصارى و مجوس و وثنيين و ملاحدة و غيرهم تحت لواء القومية العربية ، و يقولون أن نظامها لا يفرق بين عربي و عربي و إن تفرقت أديانهم . والله عز و جل يقول : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ } [المتحنة : ١] ، و نظام القومية يقول : كلهم أولياء ، مسلمهم و كافرهم .

و قال تعالى : { لا تجد قوماً يؤمنون بالله و اليوم الآخر يواجون من جاء الله و رسوله و لو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم } [المجادلة: ٢٢] ، و شرع دعوة القومية يقول : أقصوا الريب عن القومية ، و افضلوا الريب عن الدولة ، و تكتلوا حول أنفسكم و قوميتكم حتى تدرؤا مصالحكم و تستردوا أمجادكم ، كان الإسلام وقف في طريقهم و حال بينهم و بين أمجادهم .. هذا و الله هو الجهل و التلبس ..

و كيف يجوز في عقل عاقل أن يكون أبو جهل و أبو لهب و عقبة بن أبي معيط و أنصاريهم مع صناديد قريش في عهد النبي و بعده إلى يومنا هذا إخواناً و أولياء أبي بكر و عمر و عثمان و علي و سائر الصحابة و مع سلك سبيلهم إلى يومنا هذا .. هذا و الله أبطل الباطل و أعظم الجهل .. و شرع القومية و نظامها يوجب هذا و يقتضيه !!

رابحاً : لأن الدعوة للقومية تفضي بالمجتمع إلى رفض حكم القرآن الكريم ؛ لأن القوميين غير المسلمين له يرضوا بتحكيم القرآن ، فيوجب هذا لزعماء القومية أن يتخذوا أحكاماً و ضعية تخالف القرآن حتى يستوي مجتمع القومية في تلك الأحكام .

القومية الإسلامية :-

نجد نعارض دعوة القومية المتعصبة في عدة أمور جوهرية، يتمسكون هم بها، وبتكرها الإسلام . و يتمسكهم بها - فيما يبدو - أمر حتمي لأنها مقتضى فكرتهم و لازم من لوازم دعوتهم.

أولاً: إنهم يعتبرون القومية "عقيدة" يجب الإيمان بها، والولاء لها، والدعوة إليها والتعصب لها، ومعاداة من لا يقبلها ولا يعتنقها . . عقيدة يجب أن يقدم الولاء لها على أي ولاء آخر، ولو كان الولاء لله ورسوله ولكتابه .. يجب أن يغرس حبها في أحماق القلوب ، وأن يبدأ ذلك منذ نعومة الأظفار ، وأن تفرغ فيها كل العواطف والمشاعر.

يجب أن ينبثق من هذه العقيدة القومية نظام الحكم، وسياسة الدولة، ومناهج التربية والتعليم، ووسائل التنقيف والإعلام، يجب أن يكون اتجاهها جميعاً قومياً صرفاً، وأن تكون صبغتها الوحيدة الصبغة القومية، وأن تزال أو تطرد كل صبغة أخرى . هذا الذي نقوله واضح في كتابات القوميين اليوم كل الوضوح.

ويقول الكاتب الأديب المصري المشهور الأستاذ محمود تيمور منساقاً في هذا التيار: "لأنه كان لكل عصر نبوته المقدسة .. إن القومية العربية لهي نبوة هذا العصر في مجتمعنا العربي. ورسالة هذه النبوة هي تجميع القوة، وتكثيف الجبهة والانطلاقة بالطاقة البشرية في كيان المجتمع العربي نحو كسب الحياة. وإن كتاب العرب في أحناقهم أمانة، هي أن يكونوا حواريين لتلك النبوة الصادقة، يزكونها بأقلامهم، ويفتقون فيها مع أرواحهم، ويعملون على أن تكتمل لها أسباب النماء والازدهار."

ثانياً: إن النتيجة الحتمية لهذه العقيدة القومية أن نجد القوميين عامة يجمعون على إعلاء الرابطة القومية على الرابطة الدينية، ولهذا ترى دعاة القومية العربية يفضلون العربي غير المسلم على المسلم غير العربي، بل إنهم ليجدون رابطة الإيمان، ولا يعترفون بأثرها في العلاقات والسلوك، وهذا يخالف ما جاء به القرآن الكريم {إنما المؤمنون إخوة} [الحجرات: ١٠] وما جاءت به السنة (المسلم أخو المسلم) .. القرآن يأمرنا أن ندوس كل رابطة إذا تعارضت مع عقيدة الإسلام و رابطة الإسلام، فيقول تعالى: {يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إِنْ استحبوا الكفر على الإيمان، ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون} [التوبة: ٢٣] .. ويقول سبحانه: {لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حادَّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم} [المجادلة: ٢٢].

إن القرآن لا يعترف إلا بالإيمان رابطة، ولا يقر إلا الإخاء الإسلامي جامعاً بين المسلمين {إنما المؤمنون إخوة} [الحجرات: ١٠] ، أما القوميون فلا يعترفون بالدين جامعاً ولا مفزقاً بين الناس.

إنهم يريدون منا أن نسوي بين أبي لهب وأبي بكر، وبين أبي جهل وعمر بن الخطاب، لأنهم في الميزان القومي سواء، ولكنه القرآن يقول: {لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة} [الحشر: ٢٠] {أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستويان} [السجدة: ١٨].

إنهم يتكبرون علينا أن نعتهم بقضية كقضية مسلمي كشمير، أو قضية مسلمي الحبشة أو مسلمي الاتحاد السوفياتي (٦٠ مليوناً) ولا حرج عندهم أن يناصروا الوثنيين الغنود ضد المسلمين ولا جناح عليهم أن يؤيدوا النصارى اليونانيين في قبرص ضد المسلمين الأتراك، ولا بأس عليهم أن يقفوا مع الشيوعيين الروس، أو الصينيين ضد الأقليات الإسلامية التي تبلغ عشرات الملايين.

ثالثاً: نعيب على القوميين عزلهم الدين عن المجتمع والدولة ، فالقوميون عامة ينادون بدولة علمانية (لا دينية) ويحصرون الدين في نطاق ضيق، لا يتجاوز العلاقة بين الإنسان وربه (هذا إن رضوا بوجود الدين واعتدوا ببقائه) .. أما أن يتدخل الدين في توجيه المجتمع وتشريع الدولة، ونظام الحياة، فهذه "رجعية" يحاربها القوميون جميعاً، يقول أحدهم مبيناً مهمة القومية العربية: "وتحارب الجهل والفساد والمرض والظلم، وكل عصبية إلا العصبية القومية، وتفصل الدين عن السياسة، وتحرم على رجال الدين الاشتغال بها، وتعليم العربي أينما كان أن يتعصب بعنف لأمره: قوميته والحق".

إن القومي الأصيل - كما صورته هؤلاء - يُسقط الدين من حسابه ويضعه على "الرف" أو في مستودعات المستهلك والتالف الذي لا ينتفع به. ولا يلتزم القومي الأصيل نحو الدين وقيمه وعقائده وأحكامه بشيء، فلا حرج عليه قط أن يأخذ من الماديين مذهبهم في تفسير الوجود، ومن أبيقور مذهبهم في فلسفة الأخلاق، ومن فرويد مذهبهم في تفسير السلوك، ومن ماركس مذهبهم في تفسير التاريخ، ومن دوركايم مذهبهم في علاقات المجتمع، ومن سارتر مذهبهم في الأدب والحياة، ولا يسأل نفسه يوماً: هل تنفق هذه

المذاهب والأفكار مع الإسلام أم لا؟ على أنهم لو عرفوا فعلاً أنها تعارض الإسلام ويعارضونها، لعضوا عليها بالتواجد، ونبذوا الإسلام وراءهم ظهرياً.

رابعاً: تعارض القوميين في تفنيهم للأمة الإسلامية التي أرادها الله أمة واحدة كما قال تعالى: {وَأِجْزِهِمْ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً} [المؤمنون: ٥٢] {كنتم خير أمة أخرجت للناس} [آل عمران: ١١٠] {وكذلك جعلناكم أمةً وسطاً} [البقرة: ١٤٣] إلى أمم شتى، وقوميات متضاربة، تتنازع على حدود أرضية، وتتفاخر بعصبيات جاهلية، وتعتز بغير الأخوة الدينية والرابطة الإسلامية التي قرنها الله في كتابه بالإيمان، وجعلها دليلاً وعنوانه فقال {إنما المؤمنون إخوة} [الحجرات: ١٠] وقال: {يا أيها الذين آمنوا إن تطيحوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين} [آل عمران: ١٠٠] أي بعد أخوتكم ووحدةكم متفريقه متنازعه، فالقرآن يعبر عن الوحدة بالإيمان وعن التفريق بالقرآن لأنه يؤدي إليه، وفي الحديث الصحيح (سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر) (لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض) [رواهما مسلم]. ويقول: (إذا التقى المسلمان بسيفيهما، فالقاتل والمقتول في النار، قالوا: هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: إنه كان حريصاً على قتل صاحبه) [متفق عليه].

ومنطق القومية يجيز للمسلميه أن يقاتل بعضهم بعضاً، ويسفك بعضهم دماء بعض، نتيجة لتصارع القوميات المختلفة، كما رأينا ذلك في اقتتال العرب والترك في الحرب العالمية الأولى، بتدبير الإنجليز وتحريكهم، بل تحت قيادتهم، وكما رأينا مع قريب، قتال القومية العربية مع القومية الكردية في العراق.

خامساً: إن الفكرة القومية فكرة جاهلية رجعية، تنكّر الاله، وينكّر الاله.

أما إنها جاهلية، فلأنها تقوم على إحياء العصبية التي هي من أخص سمات العصر الجاهلي، والتي برئ الإسلام ورسوله منها كل البراءة إذ قال: (ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية). ومن إحياء العصبية الجاهلية الاعتزاز بالآباء، والتفاخر بالأجداد، وإن كانوا في نظر الإسلام من أكرم القفار، وأفجر الفجار، وأولى الناس بالنار وبئس القرار، كالذي يعتزون بفرعون - كرمسيس وغيره - أو بأبي جهل ومنه شاكله من العرب. ولقد حدث أن أحد القوميين الغلاة، سمى ابنه "لهباً" ليناديه الناس بكنية "أبي لهب" فيحي بذلك ذكر زعيم عربي من زعماء الجاهلية {تبت يدا أبي لهب وتب} [المسد: ١] ! وقد نسم غداً من يسمي ابنه "جهلاً" ليكني "أبا جهل" ... والجنون فنون.

وأما إنها رجعية فلأنها ليست إلا امتداداً للشعور القبلي، وإزعاجاً لعصبية العشيرة، والتنادي بنصرتها ظالمة ومظلومة، وهذه رجعة بالإنسان إلى الوراء البعيد، حيث كانت ارتباطات العشيرة وحدها، هي التي توجه الفرد وتسيره، وفقاً لتراثها وتقاليدها، ثم انتقل ولاء الإنسان من العشيرة إلى الأمة، ثم نقلته الأديان السماوية إلى أفق أعلى وأرحب هو أفق العالمية الإنسانية.

سادساً: إن دعاة القومية لا يكتفون بعزل الدين عن الحياة، بل يقفون موقف العداوة للتيار الإسلامي، والمعارضة لكل حركة إسلامية قوية، تعمل على استعادة نظام الإسلام وتنادي بالعودة إلى تعاليمه والاعتصام بحبله، والتكثف تحت لوائه، وهذه العداوة من القوميين للإسلام منطقية؛ لأمرين:

الأول: أن هذه الخصومة والعداوة نتيجة طبيعية للمقدمات التي ذكرناها من قبل باعتبارها عناصر لازمة للقومية أو مرتبطة بها، من إعلاء الرابطة القومية على الرابطة الدينية، واحتقار الأخوة الإسلامية، والمناداة بدولة علمانية لا دينية، ومعارضة الوحدة الإسلامية، وتمزيق الأمة الإسلامية إلى أمم وقوميات متعارضة... إلخ.

الثاني: أن هذه القوميات في عالمنا الإسلامي إنما بذر بذرتها فيه، وتعهدها ونماها هو التنصير والاستعمار.

وعندما ثارت القومية الألبانية سنة ١٩١٢ أثارت معها حملة من الاستنكار قام بها الشاعر محمد حاكف المسلم الوطني المعارض للقومية - وكان هو من أصل ألباني - قال: "إن ملككم هي الإسلام، فما هذه القومية القبلية؟ هل العرب أفضل من التتر أم أن الفرس أفضل من الصينيين؟ بماذا يفضلونهم؟ ماذا دعاهم؟ هل تقسمون بلاد الإسلام إلى أجزاء متعددة؟ إن الرسول الكريم نفسه سفه العصبية القبلية، وليس باستطاعة الأتراك العيش بدون العرب، ومنه يقول غير هذا فهو مجنون، والتتر بالنسبة للعرب عينهم اليمنى، وساعدهم الأيمن، فلتلك (ألبانيا) لكم إنذاراً، ما هذه السياسة المتخيبة؟ وما هو هذا الهدف الشرير؟! اسمعوها مني، أنا الألباني.. لا أقول أكثر من هذا.. أسفي على بلادي المبتلاة!"

ومثل محمد حاكف في موقفه الشاعر الفيلسوف المسلم الهندي الدكتور محمد إقبال، الذي تنبه في وقت مبكر لدخول هذا السرطان في دنيا المسلمين، ونبههم على خطره وسوء أثره فهو يقول: "لقد هاجمت فكرة القومية منذ الأيام التي لم تكن فيها القومية معروفة في الهند أو في العالم الإسلامي، ومنذ البداية شعرت بوضوح من خلال قراءاتي لكتابات المؤلفين الأوروبيين بأن خطط أوروبا الاستعمارية كانت تهدف إلى الدعوة للقومية لتفرقة صفوف الناس لأن ذلك سلاح فتاك، كانوا في أشد الحاجة إليه. واقتضت هذه الحاجة الدعوة إلى مبادئ القومية حسبما جاءت به أوروبا في البلاد الإسلامية، من أجل تحطيم الوحدة الدينية القائمة بين المسلمين".

المراجع:

- مقال بعنوان "الإسلام.. والوطنية" للدكتور / محمد عمارة على موقع "بلاغ" <http://www.balagh.com>
- كتاب "مذاهب فكرية في الميزان" للأستاذ/علاء بكر - دار العقيدة
- مقال بعنوان "القومية الإسلامية" للدكتور / يوسف القرضاوي - على موقع "إسلام أون لاين" <http://www.islamonline.net>

الانتماء للدين و الانتماء للوطن - تكامل لا تنافر

إذا كان الانتماء الأول والأكبر والأساسي، بالنسبة للمسلم، هو إلى الإسلام وأمنته، وإلى دار الإسلام وحضارته، فإن تخييد المسلم بيه الانتماء للإسلام وبيه هذه الدوائر الأخرى للانتماء لا يكون إلا في حالات قيام التعارض أو التناقض والتضاد بيه الانتماء إلى الإسلام - كاتناء جامع وأول - وبيه الانتماءات الأخرى - كدوائر فرعية - أما إذا انسقت دوائر الانتماء في فكريّة الإنسان، وتكاملت في ممارساته الحياتية فله يكون هناك تناقض في الفكر والعمل الإسلامي بيه كل دوائر الانتماء الفطري للإنسان.. بل إن الأمر في علاقة الانتماء الإسلامي الوطني ليتعدى حدود "نفي التناقض" إلى دائرة "الامتزاج والارتباط".

فإن الإسلام منهج شامل لمملكة السماء وعالم الغيب وللعمران البشري وسياسة وتدير عالم الشهادة، فإن إقامته كدين لا تتأني إلا في واقع ووطن ومكان وجغرافيا.. وهذا الواقع والوطن والمكان والجغرافيا له يكون إسلامياً إلا إذا أصبح الانتماء الوطني فيه بعداً من أبعاد الانتماء الإسلامي العام.. فعبقرية المكان، في المحيط الإسلامي، هي واحدة من تجليات الإسلام الذي لا تكتمل إقامته بغير الوطن والمكان والجغرافيا!.. ومن هنا تأتي ضرورة الوطن لإقامة "دنيا الإسلام" وعمرانه، وضرورة الدين، ليكون الوطن إسلامياً وتحقق إسلامية عمرانه، أي ضرورة أن يكون الانتماء الوطني - الوطنية - درجة من درجات سلم انتماء المسلم إلى الإسلام، كجامع أكبر وأول لأبعاد ودوائر الانتماء.. فالإسلام هو الذي يستدعي ويتطلب وجود الوطن والوطنية؛ لأنه لا تكتمل إقامته دون وطن يتجسد فيه.. فليس هو بالدين الذي تكتمل إقامته "بالخلاص الفردي".. كما أن "خلاص" المسلم و "تقدمه" لا يمكن إلا أن يكون إسلامياً!..

وعلى حيه اكتفت مذاهب وفلسفات، في تحديد حدود الوطن "بجغرافيا الإقليم"، فإن الإسلام قد سلك الجغرافيا والأقاليم في سلك ديار الإسلام، تلك التي وحدتها العقيدة والشريعة والأمة والحضارة، مع التمايز في القبائل والشعوب والأوطان والأقوام.. فاجتمعت في منظومته كل من العالمية والأممية مع الوطنيات والقوميات، دونما تناقض أو تعارض أو عدا.. وهذه الحقيقة في علاقة الإسلام بالوطنية هي التي جعلت للوطن والوطنية ذلك المقام العالي في ظل الانتماء الإسلامي الذي لا يقف عند حدود وطن بعينه ولا يقيد بوطنية من الوطنيات دون سواها.. فالقرآن الكريم يتحدث عن حب الإنسان لوطنه كمعادل وقرب لهب هذا الإنسان للحياة!.. ولذلك فالإخراج من الديار معادل ومساو للقتل الذي يخرج الإنسان من عداد الأحياء!.. { وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا } [النساء: ٦٦].

فالإسلام لا يسقط تمايزات التخوم الأرضية والحدود الجغرافية - أي التمايز الإقليمي - للأوطان داخل ديار الإسلام، بل يدعو الإنسان إلى أن يخلص لبلده، وأن يقف في سبيل قومه.. وأن يتمنى لوطنه كل مجد وفخار.. وأن يقف في ذلك الأقرب فالأقرب رحماً وجواراً.. فقط تتميز الوطنية الإسلامية بأنها لا تجعل

تخوم الأقاليم الوطنية نهاية آفاقها، وإنما تسلك الأقاليم والأوطان في سلك جامع هو " دار الإسلام" ..

لقد استقر تران الإسلام على اعتبار الوطنية - وهي المشاعر التي تربط بروابط الحب بين الإنسان ووطنه - فطرة فطر الله الإنسان عليها .. فحدثنا الجاحظ (٦٣-٢٥٥ هـ ، ٧٨٠-٨٦٩ م) في رسالة (الخبية إلى الأوطان) كيف "كانت العرب إذا غزت أو سافرت حملت معها من تربة بلدها رملاً وحفراً تستنشقه" و جعلها رفاحة الطهطاوي (١٢١٦-١٢٩٠ هـ ، ١٨٠١-١٨٧٣ م) "المنهبة" الذي تلقى حوله "أدوار" إحدى منظوماته وأناشيده .. فهي عنده "فطرة" و "منّة" و "هبة" إلهية:

من أصل الفطرة للفطه بعد المولى حبّ الوطه
هبة من الوهاب بها فالحمد لوهاب المنه

مكانة الوطه في الإسلام : العبرة

"يا ملة .. و الله لأنت أحب بلاد الله إلى الله ، و أحب بلاد الله إليّ ، و لولا أن قومك أخرجوني منك .. ما خرجت" .. بتلك الكلمات ودع رسول الله ووطنه .. ملة ، التي تربي على أرضها و نشأ بين أهلها ، و عرف طرقها و مسالكها ، و حوت ذكريات الطفولة و الصبا و الكهولة . على تلك الأرض كان مولده و بها تاريخ الآباء و الأجداد .. ما أعجزها عليه و ما أقربها لقلبه .. و ما أقسى تلك اللحظات التي يودعها فيها مضطراً غير مختاراً ، مدفوعاً بمسؤولية أداء الأمانة و تبليغ الرسالة التي أمره الله بتبليغها إلى الناس : { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ } [المائدة : ٦٧] ، فقد أصبح متيقناً أن لا مأوى للإسلام الناشئ على أرض ملة ، لا بد من المعجز و الرحيل عنها .. و لا بد من الفراق .

الشعور بحب الوطه و الانتماء إليه شعور إنساني فطري ، فكل إنسان يجد لوطنه مكاناً عزيزاً مقدراً في قلبه، يرجو له الرقي و الرفعة و النماء ، و يسعى في سبيل نصرته و عزته ، يدافع عنه و يحميه و يقديه بالنفس و المال .. فكرامة الوطه من كرامة الإنسان ذاته ، و أمنه أمنه لأهله ، و كل ما ينسب لهذه الأرض التي تحيا عليها من صفات هي أيضاً منسوبة إليك ، و له تستطيع التجرد منها .

بلغ حب الوطه و إعزازه و تقديسه في قلب العربي مكاناً حميقاً ، فيروى أن العربي القديم كان إذا سافر أخذ بعضاً من تراب أرض ووطنه قدراً ، و كان يضعه في عينه إذا أصابها المرض تيمناً بالشفاء به .. إلى هذا الحد بلغ في قلبه الإكبار و الإعزاز لوطنه ، أیه ذلك العربي نفسه اليوم من أراضٍ مسلوبة ، و ثروات ضائعة ، و كرامة معذرة ، و أعراضٍ منتهكة .. و ضمائر خائنة ، لم يعد فيها مكان لوطنه و لا كرامة ، تبيع الغالي بأرخص الرخيص ، تخون الأهل و الوطه في سبيل النفع الذاتي الزائل .

استمر حنيه رسولنا محمد صلى الله عليه و سلم إلى وطنه مكة طوال فترة مكوثه في المدينة المنورة قبل فتح مكة ، فقد كان دائم الشوق إليها ، و كانت قبلة المسلمين في الصلاة لا تزال إلى جهة بيت المقدس ، و كان رسول الله شديد الحنيه إلى بيت الله المعمور بمكة ، البيت الذي تهوي إليه قلوب الناس من شتى بقاع الأرض كما دعا سيدنا إبراهيم عليه السلام ربه {فَجَعَلَ أَفئدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ} [إبراهيم : ٣٧] ، و كان رسول الله دائماً ما يقلب بصره في السماء انتظاراً لنزول الوحي عليه بتحويل القبلة ، و قد تم له ذلك بحمد الله {قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها ، فول وجهك شطر المسجد الحرام ، و حيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره} [البقرة : ١٤٤]. و قد تم لرسول الله صلى الله عليه و سلم و للمسلميه المهاجرين فرحة العودة إلى أرض الوطن عند فتح مكة و دخولهم إليها ظافريه منصوريه بنصر الله {إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً} [الفتح : ١] .

حقوق المواطنين من أهل الذمة :-

من المعروف شرعاً أن هناك تقسيماً للمخالفين في الدين من حيث موقفهم من دولة الإسلام و أمة الإسلام ، فهم إما محاربون و إما مسالمون معاهدون .

فالمحاربون هم الذين يعادون المسلمين و يقاتلونهم ، و هؤلاء لهم أحكامهم التي تنظم العلاقة بهم ، و تفرض أخلاقاً و آداباً معينة في معاملتهم حتى في حالة الحرب ، فلا عدوان ، و لا غدر ، و لا تمثيل بجثة ، و لا قطع لشجر ، و لا هدم لبناء ، و لا قتل لصبي و لا امرأة و لا شيخ ، و إنما يقتل من يقاتل .. إلى آخر ما هو مقرر و مفصل في كتب السيرة أو الجهاد في الفقه الإسلامي .

و المسالمون أو المعاهدون يوفى لهم بعهدهم و يعطون حقوقهم من البر و القسط و الصلة .

و من الخطأ و الخطر هنا الخلط بين الصنفين على اعتبار أنهم جميعاً كفار لا يؤمنون برسالة محمد خاتم رسول الله صلى الله عليه و سلم و لا يصدقون بالقرآن آخر كتب الله .

و قد فرق القرآن بين الصنفين تفريقاً واضحاً في آياته كريمته تعبيران دستورياً محكماً في تحديد العلاقة بغير المسلمين ، يقول تعالى {لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين و لم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم و تقسطوا إليهم ، إن الله يحب المقسطين} * إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين و أخرجوكم من دياركم و ظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ، و من يتولهم فأولئك هم الظالمون} [الممتحنة : ٨ ، ٩] .. و البر هو الخير ، و القسط هو العدل ، و قد نزلت هاتان الآيتان في شأن المشركين ، كما دللت على ذلك أسباب نزول السورة ، فأهل الكتاب أولى بالبر و القسط ..

ثم إن المعاهدية صنفان :

(أ) من لهم عهد مؤقت ، و هؤلاء يتم إليهم عهدهم إلى مدتهم .

(ب) و الثاني من لهم عهد دائم و مؤبد ، و هم الذي يسميهم المسلمون "أهل الذمة" ..
بمعنى أن لهم ذمة الله تعالى و ذمة رسوله صلى الله عليه و سلم و ذمة جماعة المسلمين ،
و هم الذي قال فيهم الفقه الإسلامي : لهم ما لنا و عليهم ما علينا .. أي في الجملة ،
إلا ما اقتضته طبيعة الاختلاف الديني ..

و أهل الذمة يحملون جنسية دار الإسلام ، و بتعبير آخر : هم مواطنون في الدولة الإسلامية .. فليست
عبارة "أهل الذمة" عبارة ذم أو تنقيص ، بل هي عبارة توحى بوجوب الرعاية و الوفاء ، تديناً و امتثالاً
لشريعة الله .

و للمواطنين من أهل الذمة حقوق في وجوب المحافظة على دمايتهم و أعراضهم و أموالهم و معابدهم
و جميع حرمانهم ، و احترام عقائدهم و شعائرتهم ، و الدفاع عنهم تجاه كل عدوان من الخارج ، و
تجنب كل ما يوغر صدورهم أو يؤذيهم في أنفسهم أو أهليهم و ذراتهم .

حتى إن القرآن ليرتفع بأدب الحوار مع أهل الكتاب إلى أفق رفيع حيه يقول { و لا تجادلوا أهل
الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم ، و قولوا آمنا بالذي أنزل إلينا و
أنزل إليكم و إلهنا و إلهكم واحد و نجر له مسلمون } [العنكبوت : ٤٦] .. فإذا كان
هناك طريقان للحوار أو للجدال إحداهما حسنة و الأخرى أحسن منها ، فالمطلوب هو الحوار بالتي هي
أحسن ..

و أهل الذمة من أهل الكتاب لهم وضع خاص ، و العرب منهم لهم وضع أخص لاستعراهم و
ذوبانهم في أمة العرب و تكلمهم بلغة القرآن و تشريحهم للثقافة الإسلامية و اشتراكهم في الموارد
الثقافية و الحضارية للمسلمين بصورة أكبر من غيرهم ، فهم مسلمون بالحضارة و الثقافة ، و إن كانوا
مسيحيين بالعقيدة و الطقوس .

و الحقوق التي قررها الإسلام ليست مجرد حبر على ورق ، بل هي حقوق مقدسة قررتها شريعة الله ، فلا
يملك أحد من الناس أن يبطلها ، و هي حقوق تحوطها و تحرسها ضمانات متعددة : ضمانات العقيدة في
ضمير كل فرد مسلم يتعبد بامتنال أمر الله و اجتناب نهيهِ ، و ضمانات الضمير الإسلامي العام الذي يتمثل
في المجتمع كله ، و خصوصاً الفقهاء و الأصلاء من حراس الشريعة و القضاة العدول الأقوياء الذي
رأينا منهم من حَلَم على الأمراء و الخلفاء لحساب من ظلم من أهل الذمة .

و قد رأينا الإمام ابن تيمية يخاطب تيمور لَنْك في فتاوى الأسرى عنده ، فيعرض عليه أن يفك أسرى
المسلمين و حدهم فيأبى إلا أن يفرج عن أهل الذمة معهم .

المراجع :

- مقال بعنوان "الإسلام.. والوطنية" للدكتور / محمد عمارة على موقع "بلاغ" <http://www.balagh.com>
 - "الأقليات الدينية و الحل الإسلامي" - للدكتور يوسف القرضاوي - مكتبة وهبة - ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م
-

واجب الدفاع عن الوطن

من بنود المواثيق التي أخذها الله على بعض الأمم، نتعلم أن الإخراج من الديار، والحرمان من الوطن، هو معادل لسفك الدماء والإخراج من الحياة : { وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تُشَاهِدُونَ * ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدَاوَةِ وَإِن يَأْتِوكُمُ اسَارِيُّ تَفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحْرَمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجَهُمْ أَفْتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِخَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ } [البقرة : ٨٤ ، ٨٥].

ولذلك، جعل القرآن الكريم "استقلال الوطن وحرثه" الذي هو ثمرة لوطنية أهله وبسالته في الدفاع عنه، جعل ذلك "حياة" لأهل هذا الوطن.. بينما عبر عنه الذي فرطوا في الوطنية، ومن ثم في استقلال وطنهم بأنهم "أموات" .. وجعل من عودة الروح الوطنية إلى الذي سبق لهم التفرط فيها، عودة لروح الحياة إلى الذي سبق وأصابهم الموت والمواة؟!.. { ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوفٌ حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم إِنَّ الله لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ * وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } [البقرة : ٢٤٣ ، ٢٤٤].

فالذي خرجوا من ديارهم - وليس الذي أخرجوا - لضعف في وطنيتهم، جعلهم يذروا الموت، هم أموات، مع أنهم ألوف يأكلون ويشربون!.. وعودة الوطنية إليهم، واستخلاصهم لوطنهم، هو إحياء لهم بعد الموات!.. لقد كتب الأستاذ الإمام محمد عبده في تفسيره لهذه الآية يقول: "تلك سنة الله تعالى في الأمم التي تجبى فلا تدفع العاديه عليها.. وحياة الأمم و موتها، في عرف الناس جميعهم، معروف، فمعنى موت أولئك القوم هو أن العدو نك بهم فأفنى قوتهم، وأزال استقلال أمتهم، حتى صارت لا تعد أمة، بأن تفرق شملها، وذهبت جامعها، فكل ما بقي من أفرادها خاضعيه للغالبية ضائعيه فيهم، مدغميه في غمارهم، لا وجود لهم في أنفسهم، وإنما وجودهم تابع لوجود غيرهم، ومعنى حياتهم هو عودة الاستقلال إليهم!.. إن الجبهه عن مدافعة الأعداء، وتسليم الديار بالهزيمة والفرار، هو الموت المحقوف بالخزي والعار، وإن الحياة العزيزة الطيبة هي الحياة المحفوظة من عدوان المعتدي.. والقتال في سبيل الله أهم من القتال لأجل الدين؛ لأنه يشمل أيضاً، الدفاع عن الحوزة إذا هم الطامع المهاجم باغتصاب بلادنا والتمتع بخيرات أرضنا، أو أراد العدو الباغي إزلاتنا، والعدوان على استقلالنا، ولو لم يكن ذلك لأجل فتننا عن ديننا.. فالقتال لحماية الحقيقة كالقتال لحماية الحق، كله جهاد في سبيل الله، ولقد اتفق الفقهاء على أن العدو إذا دخل دار الإسلام يكون قتاله فرض عليه على كل المسلميه..".

وكما جعل الإسلام الوطنية التي تحفظ استقلال الوطن، قربة الحياة ومعادلتها.. كذلك جعل هذه الوطنية قربة حرية الدعوة إلى الدين.. فكان الجهاد القتالي في الإسلام رداً ودفعاً لعدوان المعتدي على حرية الدعوة بالفتنة في الدين، وعلى عدوان المعتدي الذي يخرج الناس من الأوطان ويقتلعهم من الديار.. في

هذه السببية انحصرت شرعية ومشروعية فريضة الجهاد القتالي في الإسلام.. وعلى هذه الحقيقة تشهد آيات القرآن الكريم التي شرحت فريضة القتال لرد العدوان عن الدين.. وعه الوطن!..

فعندما "أذن" الله، سبحانه للمؤمنين في القتال، كان إخراجهم من ديارهم سبباً عكس به القرآن الكريم هذا التطور الجديد، المتمثل في الإذن بالقتال.. {أَذِّنْ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بَأْتِهِمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَجْوَاهُمْ لَغَيْرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبَّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَهَادِمَتِ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ} [الحج : ٣٩ ، ٤٠] .. وعندها تطور الحال من "الإذن" في القتال إلى "الأمر" به، جاء حديث القرآن الكريم أيضاً ليجعل الإخراج من الديار سبباً لقتال أولئك الذين أخرجوا المسلمين من ديارهم {وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجْتُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ} [البقرة : ١٩٠ ، ١٩١] .

وعندها انتقل القرآن الكريم، في تشريعه للجهاد القتالي، من "أمر" المؤمنين به إلى حيث جعله "فريضة مكتوبة" عليهم، استمر حديثه عن إخراجهم من ديارهم، كسبب يوجب عليهم ويفرض قتال الأعداء : {يُكْتَبُ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} * يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دياركم إن استطاعوا ومن يردكم عن دياركم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون} [البقرة : ٢١٦ ، ٢١٧] .

ثم تطرد هذه الحقيقة القرآنية - الحديث عن الإخراج من الديار - في كل مواضع الاستنفار للجهاد القتالي.. فالله يحدث رسوله عن صديق مشركي مكة معه، وخياراتهم للملك به {وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُبْنِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكُرِينَ} [الأنفال : ٣٠] .. فالإخراج من الديار معادل للقتل.. وللسجن.. فجميعها تحرم الإنسان من السيادة على مقدرات الوطن الذي ينتمي إليه!.. كانت الإشارة إلى المكانة المتميزة للذين قاتلوا من أخرجوهم من ديارهم واقتلعوهم من أوطانهم.. {فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكرٍ أو أنثى بعضهم من بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفر عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثواباً من عند الله والله عنده حسن الثواب} [آل عمران : ١٩٥] .

وعندها يكون الحديث عن أولويات الاختصاص بالفقير والمال، يُذكر القرآن بالذين أصابهم الفقر بسبب الإخراج من الديار.. {مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُم

الرِّسُولُ فَخَذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ * لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصَرُونَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ أَوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ { [الحشر : ٧ ، ٨] .

هكذا يذكر القرآن الكريم - عندما يتحدث عن الجهاد القتالي - الإخراج من الديار، سبباً يجب من أجله القتال، وقضية يستنفر المؤمنين كي يقاتلوا لحلها، وذلك حتى يستردوا وطنهم الذي اقتلعوا منه من يبه برائته المعديه.. بل ويجعل الإخراج من الديار والفتنة في الدين جماع أسباب الجهاد القتالي في الإسلام!.

وفي تشريح الإسلام لمعايير "الموالة" و "المعاداة"، ولأسباب "الولاء" و "البراء" ولفلسفة العلاقات الداخلية والدولية بين المؤمنين و "الآخرين" .. يذكر القرآن الكريم، أيضاً، معياري "الإخراج من الديار" و "الفتنة في الدين" جماعاً لأسباب التمييز بين الأصدقاء الذين لهم البر والقسط ، وبين الأعداء الذين لا موالة لهم، بل وعلمنا أن نقاتلهم، حفاظاً على حرية الوطن، وحرية الدعوة إلى الدين.. { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تُخْرِجْتُمُ الْجَاهِلِيَّ فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّوْنَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ { [الممتحنة : ١] .

وفي آيات أخرى بنفسه السورة يحدثنا القرآن عنه تجوز مصادقته من المخالفين لنا في الدين، وعنه لا تجوز لنا مصادقته من هؤلاء المخالفين.. { لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرؤوهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين * إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظأهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون } [الممتحنة : ٨ ، ٩] .. فالوطنية فطرة إنسانية، معادلة للحياة.. وفقدتها موت.. وهي - مع الفتنة في الدين - جماع أسباب مشروعية الجهاد القتالي في الإسلام.. وجماع معايير "الموالة" و "المعاداة" أي "الولاء" و "البراء" في الشريعة الإسلامية.

وإذا كان فقهاء الأمة - من كل مذهبها.. وعلى مر تاريخها - قد اتفقوا - وفق عبارة الإمام محمد عبده - "على أن العدو إذا دخل دار الإسلام يكون قتاله فرض عليه على كل المسلم" .. فإننا نستطيع أن نصنف عقيدة الجهاد الإسلامية، وتراثنا في آدابها من "ديوان الوطنية الإسلامية" .. وأن لا نقف في هذا التراث فقط عند ما ألف - وهو كثير - في "الحنيه إلى الأوطان"، و "المنازل والديار" فندع أمام "عقيدة إسلامية" هي الجهاد ، قد جعلت حماية الوطن وحرية وتحريره "ذروة سنام الإسلام"، وأمام تراث في الجهاد فكرياً وممارسةً يشهد على مكانته وخطره ما تمثله، حتى اليوم، كلمة "الجهاد" من تداعيات وذكريات وحسابات لدى كل القوى الطامعة في اغتصاب أرض الإسلام!..

و لقد جعل القرآن الكريم الحرمات من الوطن مبررات الدفاع بالقتال فقال علي لسان قوم حُرِّمُوا مِنْهُ وَطَنُهُمْ: { وَ مَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ قَدْ أَخْرَجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَ أَبْنَانِنَا } [البقرة : ٢٤٦] .

بل جعل الشرع الموت في سبيل الدفاع عن الأرض شهادة، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: (من قُتِلَ دُونَ أَرْضِهِ (أَي دِفَاعاً) فَهُوَ شَهِيدٌ) [رواه أبو داود و الترمذي و حَسَنُهُ، و النسائي، و ابن ماجة عن سعيد ابنه زيد] .

وقد بنى الفقهاء على ذلك وجوب القتال عند تعرض الوطن للاحتلال فقال ابنه أبي زيد القيرواني في كتابه الرسالة: " و لا يغزى بغير إذن الأبوي إلا أن يفجأ العدو مدينة قوم، و يغرون عليهم ففرض عليهم دفعهم، و لا يستأذن الأبوان في مثل هذا" .

و في ظلّ الأعراف الدولية السائدة تعتبر كلّ دولة مسلمة وطناً لأبنائها، و كذا كلّ دولة يسكنها المسلمون بشكلٍ كثيف، بحيث يكون الاعتداء عليها بالاحتلال ونحوه اعتداءً عليهم، فإذا تعرضت للغزو من العدو الخارجي الكافر وجب على أبنائها - بالدرجة الأولى - بالوجوب الكفائي التصدي لتحرير الأرض و دفع العدو، فإن عجزوا وجب على الأقرب إليهم فالأقرب على نحو الكفاية أيضاً مع القدرة والإمكان.

أمّا إذا كان الغازي والمعتدي حاكم بلد إسلامي آخر فإنه يدخل تحت عنوان "البغي"، حيث يجب السعي للإصلاح بينهما، فإن بغت إحداهما على الأخرى فتقاتل الفئة الباغية تحت عنوان آخر غير عنوان الدفاع، وهو أمر آخر غير ما نحد بصدده، إذ إننا نريد بالدفاع خصوص ردّ عدوان الكافر على البلد الإسلامي في إطار كونه وطناً اصطلاحياً لجماعة من المسلمين يعيشون فيه، فيعهد ذلك العدوان وجودهم وعيشهم فيه أو يزجرهم منهم واستقرارهم وانتظام علاقتهم الإسلامية والاجتماعية الحرة الكريمة.

لا يختص وجوب الدفاع - في الأصل - بالرجال والشباب، بل يشمل كلّ قادرٍ على الدفع بأية مرتبة منه، فيعمّ الرجال والنساء، والشباب والشيوخ، والمرضى والأصحاء. نعم إذا تصدّى منهم من يتأدى به الواجب ويتحقّق به الدفع سقط التكليف عنه الباقية.

قد يكون الوجوب حينياً على بعض من يملكون خبرات معينة ممن لا يدل لهم ولا غنى عنهم، فيجب عليهم المبادرة للقيام بدورهم ولا يجوز لهم التهاون أو الفرار، بل يجب على من كان منهم خارج وطنه أن يبادر إلى الحضور والنهوض بواجبه.

يجب على عامة المسلمين من أبناء الوطن المحتلة أرضه تقديم العون والحماية للمقاتلين الذين يقومون بواجب الدفاع، وذلك بجميع أشكالها ومراتبها اللازمة في عملية الدفاع، سواءً المالية أو الأمنية أو إظهار مناصرتهم أو تأييدهم وتقلد أيتام وأسر شهدائهم، ونحو ذلك.

إذا اقتضت طبيعة المواجهة مع العدو قيام المجاهدين بعمليات استشهادية جاز القيام بها، بل قد تكون واجبة إذا توقف النصر عليها. ولا تكون من قبيل إلقاء النفس في التهلكة، لأن أدلة الجهاد مطلقة، ولأنّ

الجهاد - في الأصل - مبني على التهلكة، ولو فرض أنها إلقاء النفس في التهلكة، فإن الإلقاء إنما يجرى حين لا توجد مصلحة إسلامية أهم، فترتفع الحرمة مع وجود المصلحة الأهم.

قد لا يتعرض البلد - في زماننا هذا - إلى عدوان على الأرض، بل يتعرض إلى مؤامرة سياسية أو إلى عدوان اقتصادي، فعننا يجب التصدي - على نحو الكفاية - لمثل هذه المؤامرات بما يناسبها مما لا بد فيه - بحسب العادة - من نظر الفقيه العادل وقيادته.

المراجع :

- مقال بعنوان "الإسلام.. والوطنية" للدكتور / محمد عمارة على موقع "بلاغ" <http://www.balagh.com>
- موقع وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية المغربية - <http://www.habous.gov.ma/ar/index.aspx>

الأقليات الإسلامية بين الانتماء للدين و الانتماء للوطن : لمحة فقهية _ لمحة اجتماعية

المسلمون ينقسمون من حيث الأوطان التي يعيشون فيها إلى قسمين : القسم الأول الذي يعيش داخل ما سماه الفقهاء " دار الإسلام" ، و بتعبيرنا المعاصر داخل المجتمعات الإسلامية أو البلاد الإسلامية ، و القسم الثاني هو الذي يعيش خارج دار الإسلام بعيداً عن المجتمعات الإسلامية أو عن العالم الإسلامي ، و هو ما نغني به الحديث عن الأقليات الإسلامية .

و من الأقليات الإسلامية من هو من أهل البلاد الأصليين الذين أسلموا ، و لكنهم يعتبرون أقلية بالنسبة لمواطنيهم الآخرين غير المسلمين ، و من الأقليات أيضاً المهاجرين الذين قدموا من البلاد الإسلامية للبلاد غير الإسلامية للعمل أو الدراسة أو الهجرة أو غيرها .

و هناك بلاد هي في حقيقتها ذات أكثرية إسلامية ، و لكه الغرب مُصِرَّ على أن يجعلها مسيحية و يجعل المسلمين فيها أقلية ، رغم أن الأرقام تُكذب تلك الدعوى ، و يتمثل ذلك بوضوح في ألبانيا و إريتريا و تشاد و غيرها .

و لقد مرت الأقليات الإسلامية في صلتها بالإسلام فِكراً و شعوراً و سلوكاً بمراحل متفاوتة ، و خصوصاً فئات المهاجرين من أوطان الإسلام الأصلية. في المرحلة الأولى كانت (ضيقاً) بمعنى الكلمة .. لم يكن هناك وعي و لا حتى إحساس كافٍ بالانتماء الإسلامي أو الهوية الإسلامية .. بدأ ذلك بعد الحرب العالمية الأولى ، حيث انهزمت دولة الخلافة و انتصر الحلفاء ، و تألق العالم الغربي بحضارته ، و انسحب العالم الإسلامي ليدخل تحت سلطان الاستعمار الذي لم يكن قد دخل بلدانه من قبل ، أما أهل البلاد الأصليين فكان معظمهم في أوروبا الشرقية و في داخل روسيا تحت مطارق الحكم الشيوعي ، و منهم أهل البوسنة و الهرسك و كوسوفا و مقدونيا و ألبانيا و بلغاريا و غيرها ، و هؤلاء قد عزلوا عن الإسلام عقيدةً و شريعةً و أخلاقاً و ثقافةً ، كما عزلوا عن سائر الأمة الإسلامية ، فأصبح هؤلاء جاهليين بالإسلام من ناحية الفِكر ، بعيدين عن الإسلام من ناحية السلوك ، فكل ما يربطهم بالإسلام شهادة أن لا إله إلا الله و أن محمداً رسول الله ، التي يلقنها الآباء و الأمعات للبناء و البنات دون أن يعرفوا حقيقة مدلولها و ما تقتضيه من قائلها من التزام بفرائض تؤدي و محرمات تجتنب ، و مع هذه الشهادة عاطفة إسلامية غامضة نحو الإسلام و شخصية الرسول صلى الله عليه و سلم و القرآن الكريم أو المصحف الشريف الذي يعرفون اسمه و يقدسون رسمه و لا يعرفون حتى تلاوته ، و مع هذا لم يكونوا يجدون هذا المصحف إلا بصعوبة ، و من وجدته منهم بطريقة أو بأخرى فكانما عنده على كثر عظيم . و قد أدخل في دائرة الأقليات الإسلامية في ذلك الوقت المسلمون في الجمهوريات الإسلامية الآسيوية في الاتحاد السوفيتي ، مثل أوزبكستان و طاجيكستان و كازاخستان و أذربيجان و غيرها ، باعتبارها ضُمَّت قسراً إلى الاتحاد السوفيتي و أصبحت جزءاً من كيانه السياسي ، فأخُذت أقليات من هذه الحثية .

كان هذا وضع الأقليات المسلمة من أهل البلاد الأصليين ، أما وضع المهاجرين من البلاد العربية و الإسلامية فقد كانوا قليلين في أول الأمر ، و كان معظم المهاجرين من أناس لم يكن دينهم راسخاً ، و

كانوا يبحثون عن الرزق و عن المال ، و أما هذا العالم فلم يكونوا يعرفون عنه شيئاً ، و قد هاجروا من بلاد ضعف شأن الإسلام فيها ، فكان وضعهم الخاص و وضع قومهم العام - مع ظهور العالم الغربي في أوج قوته و انتصاره - يجعل هؤلاء لا يفكرون في هويتهم و متطلبات دينهم ؛ فكانت النتيجة أن ضاع الجيل الأول و الثاني من هؤلاء ، و خصوصاً الجيل الأول ، فقد ذاب تماماً في المجتمع الجديد ؛ إذ لم يلك له من عقيدته و وعيه حاصم يعصمه من الذوبان ، و لا يوجد من حوله أية محاذير تحفظه أو حراسة تحميه . و أبرز ما يتجلى ذلك في المهاجرين الأوائل إلى أستراليا ، و كانوا من الأفغان و أكثرهم من الأميين ، فبنى الجيل الأول منهم مساجد ، و لكنهم تزوجوا أستراليايات و نشأ أولادهم على دين أمهاتهم .. و بعد ذلك رأينا المساجد هناك أبنية فقط ، و لا يوجد من يعمرها بالصلاة و العبادة و العلم ، و مثل ذلك في أمريكا الجنوبية و خصوصاً في الأرجنتين ، فقد فني الجيل الأول في أهل البلاد حتى رأينا منهم من تنصرت علناً (مثل كارلوس منعم ، الذي انتخب رئيساً لجمهورية الأرجنتين ، و أصله مسلم كما هو واضح من اسمه) .

ثم بدأ المسلمون المهاجرون يفضون خيار الغفلة عن أحمينهم و يشعرون بالحنين إلى أصلهم و بالهوية الدينية لهم ، و بأن لهم عقيدة تخصهم و رسالة تميزهم ، و طفقوا يتصلون بإخوانهم المسلمين داخل العالم الإسلامي يطلبون منهم المساعدة في بناء المساجد و إرسال العلماء و الدعاة . و ربما كان هذا التنبه الجديد ثمرة لعناصر جديدة لحقت بالمهاجرين القدامى فأحيت مواتهم و حركت سواكنهم ، و هي عناصر ربما دفعها إلى الهجرة الاضطهاد في وطنهم الأصلي ، فهاجرت دينها إلى تلك البلاد لتبذر فيها بذوراً جديدة يخرج الله منها ثمرات مختلفاً ألوانها ..

و بهذا بدأ عصر جديد للأقليات المسلمة ، و لا سيما المهاجرة .. تطور هذا العصر من مرحلة إلى مرحلة ، و من درجة إلى درجة أقوى منها و أرسخ ، حتى انتهى إلى ما نراه و نلمسه اليوم في أوروبا و الأمريكتين و أستراليا و بلاد الشرق الأقصى و إفريقيا ، و هو ما يملكه أن نسميه "عصر الصحوة الإسلامية" .. و أدركت هذه الصحوة الجديدة المسلمين الأصليين ، فاستيقظوا من سباتهم العميق و شرعوا ينضمون بقوة تتفاوت من بلد إلى بلد إلى الركب الإسلامي المتحرك .

و المرحلة الحالية هي مرحلة التفاعل الإيجابي مع المجتمع ، فلا مجال في هذه المرحلة للعزلة و الانكفاء على الذات و الحذر من مواجهة الآخرين ، فقد غدت الأقليات المسلمة واقفة على أرض صلبة ، واثقة من نفسها ، معتزة بذاتها ، قادرة على التعبير عن هويتها و الدفاع عن كينونتها و إبراز خصائصها و تقديم ما عندها من رسالة حضارية للبشرية . و هي في هذه المرحلة تستكمل مؤسساتها العلمية و التربوية و الدعوية ، فقد كانت في وقت ما معنية بأبلى العناية بإنشاء المسجد ، و كان ضرورياً ؛ لأنه المؤسسة الأولى في المجتمع المسلم .. ثم تطورت فأصبحت تعنى بإنشاء المدرسة ليتعلم فيها أبناء المسلمين أصول دينهم ، كما يتعلمون المناهج الدراسية المقررة على أمثالهم .. ثم تطورت أكثر فأصبحت تنشئ المعاهد العليا و الجامعات المتخصصة في الدراسات الإسلامية ؛ لتخريج الإمام و الداعية المعاصر ، و المعلم المؤهل المعاصر ، و العالم الشرعي المعاصر الذي ينهل من الثقافة الإسلامية

الأصيلة ، و يعيش في عصره و تياراته و معارفه و مشكلاته و تطوراته ، و يجتهد أن يأخذ من الشرع ما يحل به مشكلات العصر.

الأقليات الإسلامية و الاندماج في المجتمع :-

تشغل قضية اندماج المسلمين في المجتمعات الأوروبية حيزاً كبيراً من الاهتمام من جانب الحكومات الأوروبية والمسلمين على حد سواء، بعد ما بات تنامي المسلمون داخل هذه المجتمعات ظاهرة معترفاً بها بشكل غير مسبوق، وأصبح هؤلاء المسلمون يشكلون أقلية دينية تأتي في المرتبة الثانية بعد المسيحية في كثير من الدول الأوروبية. ويدور -حالياً- حديث طويل عن الإسلام الأوروبي الذي أصبح جزءاً من الحياة الأوروبية ومكوناً داخلياً لملايين من المسلمين المواطنين في أوروبا، ويستوعب ويتعايش مع مفاهيم الحضارة الغربية ويتطلع إلى المشاركة السياسية في عملية صنع القرار على الأقل فيما يخص شؤون الجالية الإسلامية.

إن نظرة المجتمعات الغربية عموماً والقوى المعادية على وجه الخصوص، تجاه الإسلام والمسلمين هي القلق والخوف من هذا الديد الذي بدأ يشكل خطراً زاحقاً على أوروبا والغرب عامة مما يسمى Islamophobia ولايزال هذا الشعور القلق والعدواني ينمو يوماً بعد يوم. ورغم أن السلطات الحكومية والرسمية في هذه البلاد لا تظهر هذا الشعور، بل على العكس تظهر وتصريح بتفهمها لحقيقة الإسلام ودور المسلمين الفاعل في هذه البلاد وحقوقهم ، وللك هناك من ينمي روح العدا هذه ويتهم الإسلام والمسلمين بالإرهاب وينادي بطرد وإبعاد الأجانب من هذه البلاد وخاصة المسلمين منهم كالحزب القومي البريطاني الذي يوجه روح هذا العدا ويستعدي السلطات وفئات المجتمع على المسلمين ويحاول إثارة الكراهية ضدهم بكافة الوسائل والأساليب. وتعمل وسائل الإعلام المملوكة والمعتمدة عليها من القوى المعادية للإسلام والمسلمين على تعزيز هذا العدا وهذه الكراهية.

قال أحمد الراوي - رئيس اتحاد المنظمات الإسلامية في أوروبا - في كلمته التي ألقاها أمام المؤتمر السنوي الذي نظمه منظمة التجمع الإسلامي بألمانيا يوم السبت ٣-١٢-٢٠٠٥ : "إن الإسلام لم يعد غريباً على المجتمعات الغربية، فهناك الآن نحو ١٧ مليون مسلم يعيشون في دول الاتحاد الأوروبي، وأكثر منهم خارج الاتحاد، كما أن أجيالاً متواصلة من المسلمين نشأت وترتت وولدت وتفتت في المجتمعات الأوروبية ولم تعرف سواها وطناً أو بلداً .. ومع الأحداث الإجرامية التي وقعت على الساحة الأوروبية بدأ التساؤل حول التواجد الإسلامي في أوروبا والمشكلات التي يواجهها أبناء الأجيال الإسلامية التي نشأت في أوروبا".

وأشار الراوي إلى أن "هذا التحدي يتطلب منا كمسلمين أن نستشعر أن هذه البلاد موطننا، ويجب أن نواجهه من يناهض هذا الاتجاه من صفوفنا أو من غيرهم، فنحن هنا لنبقى، وله تغادر هذه الديار".

وفي رسالة موجهة للغرب قال أحمد الراوي : "لنعلم الجميع أننا نعمل بكل جهدنا لتعميق الهوية الأوربية داخل كل مسلم في أوروبا، ليس لهدف تكتيكي، ولكنه لأن في ذلك مصلحة المجتمع، وتأسيساً بما ترشد إليه القيم الإسلامية، فنحن نرفض العزلة داخل المجتمع، كما نرفض الذوبان فيه، ونرحب بالاندماج الإيجابي، ويجب أن يدرك المسئولون الأوروبيون أن الضغط على المسلمين لا يؤدي إلى التعاون، بل سيجلب نتائج عكسية".

وعموماً فمما المنتظر أن تزداد مشكلة إدماج المهاجرين خاصة المسلمين في الاتحاد الأوروبي بعد انضمام ١٠ دول إلى الاتحاد عام ٢٠٠٤ ليتحول إلى رقعة جغرافية ضخمة تضم (٢٥) دولة ونحو (٦٠٠) مليون نسمة لا تفصل بينها حدود سياسية، ولعل ذلك كان دافعاً هاماً في رفض الاتحاد انضمام تركيا ذات السبعين مليون مسلم إلى كيانها الكبير.

الأقليات الإسلامية و العمل الإسلامي :-

قراءة واقع الإسلام في أوروبا تكشف أن الإسلام يتحرك فيها بقوة، ويشق طريقاً ومساراً يصعب إيقافه أو تغييره، ورغم كثرة الضجيج المفتعل حول هذه المسيرة، فإن عملية استنبات الإسلام هناك قد نجحت في عقود قليلة، والرهان - حالياً - حول نتائج وحصاد التجربة. وفي دراسة مسحية أجراها "الكونجرس اليهودي العالمي" بعنوان "صعود الإسلام في أوروبا" أكدت "أن الإسلام يتمتع بمعدلات النمو الأعلى في أوروبا؛ فهناك حوالي ٢٠ مليون مسلم في الاتحاد الأوروبي يعتبرون أنفسهم مسلمين؛ فالمسلمون في أوروبا يمثلون قوة يجب أخذها في الحسبان، وإذا تواصل هذا الاتجاه سيشكل المسلمون في عام ٢٠٢٠ حوالي ١٠% من مجموع سكان أوروبا". وذلك التقدير على توقعه بأن عدد المسلمين في بريطانيا - مثلاً - عام ١٩٦٣ كان لا يزيد على ٨٢ ألف مسلم، وارتفع في ثلاثين عاماً إلى أكثر من المليونين.

وتشير الإحصاءات أن في الاتحاد الأوروبي ٧ آلاف جمعية ومركز إسلامي ومسجد، يستفيد من خدماتها أكثر من ١٦ مليون مسلم، وسط توقعات بتزايد كبير للمسلمين في الأجل القصير لعدم وجود قانون أوروبي صريح يعادي المسلمين، بل إن بعض المسلمين لجأوا إلى القانون الأوروبي لرفع الظلم عنهم وتحقيق لهم ما أرادوا، كما أن المسلمين يتمتعون بحقوق ممارسة شعائرهم الدينية بحرية وطمأنينة، وحرية إنشاء المؤسسات وبناء المساجد، إضافة إلى أن المسلمين المولودين في أوروبا يشكلون شريحة كبرى من المسلمين هناك، وهؤلاء يشعرون أنهم مسلمون ديناً أوروبيون وطناً، ولذلك تحكك قضية الاندماج مكانها المتميز في حركة الإسلام في أوروبا.

المشكلات الفقهية للأقليات :-

هذه الأقليات - بنوعها الأصلي و المهاجر - لها مشكلات كثيرة تشكل منها، بعضها سياسي من جراء حيف الأثرية على حقوقها و عدم رعايتها لخصوصيتها الدينية .. و بعضها اقتصادي، فكثيراً ما تكون تلك الأقلية من الفقراء و ذوي الدخل المحدود الذي تتحكم في مقدراتهم و أوقاتهم الأغلبية المتحكمة ..

و بعضها ثقافي ناشئ من هيمنة ثقافة الأكرية على التعليم و الإعلام و مراكز التوجيه و الحياة العامة ، متجاهليه ثقافة المسلمين التي تميزهم و تعبر عن عقائدهم و قيمهم و هويتهم الخاصة .

و كثير من مشكلات المسلمين لها طابع فقهي ، و ذلك ناشئ من رغبة الأقليات المسلمة في تلك البلاد في التمسك بهويتها الدينية و عقائدها الإسلامية و شعائرها التعبدية ، و أحكامها الشرعية في الزواج و الطلاق و شئون الأسرة و معرفة الحلال و الحرام في أمور المطعومات و المشروبات و الملابس و سائر المعاملات و شتى العلاقات بين الناس ، و خصوصاً غير المسلمين : هل يعزلون عنهم أو يندمجون فيهم ؟ و إلى أي حد يجوز الاندماج ؟

إن أسئلتهم تبدأ أول ما تبدأ - و خصوصاً من المهاجرين منهم - عن وجودهم نفسه في هذا العالم الغربي : أهو مشروع أم غير مشروع ؟ و بعبارة أخرى : هل تجوز الإقامة في بلاد الكفر أو لا تجوز ؟ و ما المراد بالأحاديث التي تمنع من ذلك ؟ و ما حكم إقامة المسلم هنا إذا خاف على دينه أو دبه أبنائه و بناته من العيش في محيط غير إسلامي و غير أخلاقي ؟

ثم إن هناك ما هو أقوى من مجرد الإقامة ، و هو الحصول على جنسية تلك البلاد ، و هي تعطي المسلم قوة مادية و معنوية ، و تجعل له حق المواطنة كالمواطنة الأصليين ، فلا يستطيع أحد طرده كما يشاء ، و له حق الانتخاب و الترشيح ، و حقوق أخرى كثيرة و مهمة ، و تستطيع الجماعة المسلمة إذا اتحدوا و تفاهموا و تعاونوا أن يكونوا جماعة من جماعات الضغط السياسي (اللوبي) ، و حينئذ تخطب الأحزاب السياسية ودهم و تحاول كسبهم إلى جانبها ، و يستطيع المسلمون أن يقوموا بدور مهم في الترشيح بين الأحزاب و بين المرشحين و يختاروا منهم من يرونه أقرب إلى قيمهم أو أرحم لمصالحهم و حقوقهم أو قضايا أمتهم الكبرى .. و لك هذه الجنسية قد يترتب عليها أشياء تحتاج إلى بيان الحكم الشرعي فيها ، و هي صيغة القسم التي يؤديها من يأخذ الجنسية ، و فيها يعلو عن احترامه للدستور أو للنظام العام .. فهل هذا ينافي الإسلام أو لا ؟

كما أن هذا قد يعرض المسلم للتجنيد الإجباري في جيش تلك الدولة ، و لا حرج في ذلك إلا إذا قامت تلك الدولة بإعلان الحرب على بلد إسلامي ، فماذا يكون موقف المسلم في تلك الحالة ؟ أيعصي دولته أم يجارب إخوانه المسلمين ؟ و كل المسلم على المسلم حرام : دمه و ماله و عرضه ؟

إلى آخر هذه الأسئلة الكثيرة و المتشعبة في شتى نواحي الحياة الفردية و الأسرية و الاجتماعية و الثقافية و الاقتصادية و السياسية و الدولية ، و التي يريدون التعرف على موقف الدين منها و موقف المسلم حيالها إذا أراد أن يلتزم بأحكام دينه .

و هذه الأسئلة ينبغي ألا نترجمها و لا نقلقنا ، بل هي بالعكس تدلنا على أن الإسلام لا يزال له أثره البالغ على سلوك المسلم و على تفكيره ، و إن كان خارج دار الإسلام ، و أن اغترابه عن وطنه الإسلامي لم يُنسِه دينه و ربه و شرعه ، بل هو حريص على أن يرضى الله عنه و ألا يخرج من سلطان دينه و أحكام

شريعته .. و الله تعالى يقول : { و لله المشرق و المغرب فأينما تولوا فثم وجه الله } [البقرة : 115] ، و الرسول صلى الله عليه و سلم يقول : (أتق الله حيثما كنت) [رواه الترمذي و أحمد و الدارمي]

و مع هنا كانت نشأة ما عرف باسم "فقه الأقليات المسلمة" ، و يهدف إلى الإجابة عن كل تلك الأسئلة و غيرها ، حتى لا يضيع المسلمون في البلاد غير الإسلامية و تذوب هويتهم الدينية في مجتمعات لا يقوم فيها الدين الإسلامي بدوره المنشود قِيماً على حياة الناس .. و حتى لا يحدث التعارض و التضارب بين واجب المسلم الديني و واجبه الوطني . و فقه الأقليات موضوع آخر يطول فيه الحديث ، و هو خارج نطاق حديثنا في هذا البحث.

و نخلص من ذلك إلى أن الأقليات الإسلامية في المجتمعات الغربية تواجه تحدياً كبيراً في الجمع بين الانتماء للإسلام كدين و منهج حياة ، و بين الانتماء للمجتمع الغربي و الاندماج فيه و ممارسة كل حقوق المواطنة .. و مع المؤكد أن ذلك يتطلب استمراراً في العمل الإسلامي إثباتاً للذات و رداً لدعاوى التنفير عن الإسلام و المسلميه و تشويه الحقائق ، و ترويجات الإعلام المغرض الذي ينتشر في هذه المجتمعات .

المراجع :

- "في فقه الأقليات المسلمة - حياة المسلميه وسط المجتمعات الأخرى" - د.يوسف القرضاوي - دار الشروق ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١ م
- موقع رابطة العالم الإسلامي على الإنترنت : <http://www.themwl.org>
- باب "دعوة و دعاة" على موقع إسلام أون لاين : <http://www.islamonline.net/arabic/daawa/index.shtml>

الانتماء و خطر التغريب

التغريب تيار كبير ذو أبعاد سياسية و اجتماعية و ثقافية و فنية ، يرمي إلى صبغ حياة الأمم بعامة ، و المسلميه بخاصة ، بالأسلوب الغربي ، و ذلك بهدف إلغاء شخصيتهم المستقلة و خصائصهم المتفردة و جعلهم أسرى التبعية الكاملة للحضارة الغربية ..

يسعى الغرب بقوة إلى غزو دول العالم الثالث ثقافياً بغرض محو هويتها المتميزة و تشكيل أنماط سلوكها و عقلياتها و أساليب حياتها وفق الحياة الغربية ، و هذا يساهم في عدم استقرار الأحوال العامة لهذه الدول سياسياً و اقتصادياً و فكرياً ، و ما يتبقى بعد ذلك مه إنتاج أبنائها يصبح في حالة تبعية للثقافة الأجنبية .. و الذي يهمنا هنا هو الجانب المتعلق بالعالم الإسلامي مه هذا الغزو الثقافي ..

و قد ارتبطت عملية التغريب في العالم الإسلامي بظاهرتيه خطيرتيه :

الأولى : الأخذ بمبدأ فصل الدين مه الدولة (النظام العلماني) ، كما مه معمول به في أوروبا بعد تخلصها مه سيطرة الكنيسة و تسلط رجال الدين .. و معلوم أن هذا كان سببه معارضة رجال الدين النصراني للنهضة العلمية في أوروبا عند ظهورها ، و ليس في الإسلام تعارض بين الدين و العلم ، و لا يتصور في الفهم الإسلامي فصل الدين مه الدولة ..

الثانية : التقليد الأعمى للحضارة الغربية المادية ، حيث امتد هذا التقليد ليشمل الجوانب الاجتماعية و الأخلاقية و العقائدية ، بل فاق هذا التقليد تقليد الحضارة الغربية في نهضةها العلمية ، مما أدى بالتالي إلى زوبان الشخصية المسلمة عند الكثيريه مه المسلميه ، و تحولت حياتهم إلى صورة ممسوخة مه الحياة الأوروبية المادية ، تأخذ أسوأ ما فيها و تترك الاستفادة بأفضل ما عندها مه العلوم النبوية النافعة ..

و قد استخدم الغرب الكثير مه الوسائل ضمنه خطط و مناهج للعمل مدروسة لإحداث التغيير في المجتمعات الإسلامية و دفعها إلى صبغ حياتها بالصبغة الغربية .. و مه أبرز الوسائل التي كان لها الدور الكبير في تغريب المسلميه :

- **تغريب مناهج التعليم :** سعى الغرب إلى تغريب نظم التعليم في بلادنا في كل صورها و أشكالها ، و غزو مناهجها بأفكار الغرب ونظرياته بعد إضفاء ثوب التجرد العلمي عليها زوراً و بهتاناً لتترب عليها الأجيال مه أبناء المسلميه .. و لقد نجح الغرب في تحقيق ذلك و لدرجة كبيرة مه طريق إنشاء المدارس العلمانية ، و تغيير مناهج المدارس الوطنية حيث أتصفت بضعف الاهتمام بالتعليم الديني ، و تشويه التاريخ الإسلامي و عرضه بصورة منفردة مع إغفال بطولاته و أمجاده ، و إحياء النعرات الإقليمية الجاهلية و التعريف بها في مناهج الدراسة مع عرضه بصورة

براقة ، و عرض تاريخ أوروبا بصورة لامعة جذابة مع الإشادة بعلمائها و أبطالها لتنصيبهم كمثل عليا جديدة أمام أجيال المتعلميه .

- تربية رجال الفكر و الأدب على الأفكار الأوروبية : عمد الاستعمار الغربي إبان الاحتلال إلى تربية رجال من المسلميه المميزيه على الفكر الأوروبي الغربي ، ثم مكنتهم من تبوأ مواقع التأثير و التوجيه و الإرشاد ، فصاروا أداة للغرب في حمل الأجيال المسلمة على اعتناق هذا الفكر و مبادئه .

- تغريب وسائل الإعلام : لوسائل الإعلام المختلفة من مكتوبة و مسموعة و مرئية أثرها البالغ على الرأي العام و تثقيف الجماهير ؛ لذا عمد الغرب إلى توجيهها لخدمة أهدافه و السيطرة عليها و إعداد من يتولون أمرها من بعدهم ليستكملوا ما بدأوه .. و لقد نجحوا في ذلك إلى حد كبير و منذ وقت طويل ..

يقول المستشرق الإنجليزي "جب" موضحاً أهمية اهتمام الغرب بالصحافة لتغريب المسلميه : "يجب ألا ينحصر الأمر في الاعتماد على التعليم في المدارس ، بل يجب أن يكون الاهتمام الأكبر منصرفاً إلى خلق رأي عام ، و السبيل إلى ذلك هو الاعتماد على الصحافة" .. ثم يستطرد مقرأً : "إن الصحافة هي أقوى الأدوات الأوروبية و أعظمها نفوذاً في العالم الإسلامي" .. ثم يبيد نتائج هذا الغزو الفكري عن طريق الصحافة فيقول : "إن النشاط التعليمي و الثقافي عن طريق المدارس العصرية و الصحافة قد ترك في المسلميه من غير وعي منهم أثراً جعلهم يبدون في مظهرهم العام لا دينيه إلى حد بعيد .. و ذلك خاصةً هو اللب المثمر في كل ما تركت محاولات الغرب لحمل العالم الإسلامي على حضارته ، من آثاره أن الإسلام كعقيدة لم يفقد إلا قليلاً من قوته و سلطانه ، و لكه الإسلام كقوة مسيطرة على الحياة الاجتماعية قد فقد مكانته ، فهناك مؤثرات أخرى تعمل إلى جانبه ، و هي - في كثير من الأحيان - تتعارض مع تقاليد و تعاليمه تعارضاً صريحاً ، و لكنها تشق طريقها بالرغم من ذلك إلى المجتمع الإسلامي في قوة و عزم .. و بذلك فقد الإسلام سيطرته على حياة المسلميه الاجتماعية و أخذت دائرة نفوذه تضيق شيئاً فشيئاً حتى انحصرت في طقوسه محدودة"

و هناك دور بارز و تأثير واضح للصحافة الآن في توجيه عقول الناس و تشكيل عواطفهم ، و هي تسير في خدمة التغريب و نشر أفكاره بصورة واضحة .. و لقد قامت وسائل الإعلام في البلاد الإسلامية و لا تزال تقوم بحرب شعواء على الدين و على المسلميه ، فضلاً عن أنها تحسن و تدعو إلى موالة الكفار ، فإن من المهام التي عيّنت بها وسائل الإعلام إشاعة الفاحشة و الإغراء و الجريمة و السعي بالفساد ، فكيف يرجى بعد ذلك بناء سليم ؟

و تمثلت الصحف اليومية و المجلات الأسبوعية و الشهرية بصور عديدة من السعي بالفساد و الترويج للفاحشة ، خاصةً المجلات المعتمدة بالفنون و السينما .. و أخطر الجوانب السلبية لتلك

المجلات و الصحف هو في إبعادها الناس عن الإسلام و صبغ حياتهم بما لا يتلاءم مع آداب الإسلام و أخلاقياته .

- تحريض المرأة المسلمة على نيل الإسلام : أدرك الغرب بعد أن درس المجتمعات الإسلامية و تعرف على أسباب قوتها و تماسكها أنه من أسباب قوة المجتمع المسلم و تماسكه رغم كل التحديات هو تفرغ المرأة المسلمة لتربية أبنائها و رعاية أسرته و حفاظها على كرامتها و عرضها ، و ارتفاعها عن أن تكون أداة إفساد أو وسيلة فتنة في مجتمعها .. فلقد ربّت المرأة المسلمة عبر القرون الطويلة أبنائها على الإسلام و زجعت فيهم حبّ البذل في سبيله بالعالي و النفيس ، إلى جانب التحلي بالشهامة و الرجولة و النخوة و الإباء ؛ لذا لم تُعدّ الأمة على طول تاريخها من أبطال صناديد حملوا لواء الجهاد ، و لذلك صمد الإسلام أمام قوى البغي العاتية من الصليبيين و التتار و غيرهم ، و لهذا ظلت المجتمعات المسلمة على سلامتها و حفاظها على دينها ، حتى مع ضعف قوتها و تأخرها العلمي ..

لأجل ذلك سارع الغرب إلى وضع خططه لإفساد المرأة المسلمة فكرياً و خلقاً و سلوكاً ، و بالتالي تفكيك الأسرة المسلمة و إضعافها و إحاقّة قيام الأسرة بالتربية الإسلامية على وجهها الصحيح .. فظهرت الدعوات المتتالية و الموجهة إلى المرأة المسلمة و القائمية عليها لتحريضها على نيل آداب الإسلام و أخلاقياته التي عاشت المرأة المسلمة في كنفها قروناً طويلة كريمة عزيزة مصانة ، و كانت بها عاملاً قوياً من عوامل قوة المسلمية .

و قد اتخذت هذه الدعوات صوراً و أشكالاً متعددة و برفقة تخفي وراءها الوجه القبيح ، و أثمرت ثماراً خبيثة جرّت الشقاء على نساء المسلمية و مجتمعاتهم ، و أفسدت على الجميع دينهم .

فباسم تحريم المرأة خلعت المرأة المسلمة حجابها و أبدت ما حرم الله عليها إبداءه من زينتها ، و باسم تعليم المرأة و تثقيفها خرجت المرأة المسلمة تخالط الشبان و الرجال في الطرقات و وسائل المواصلات و المدارس و المعاهد و الكليات متبرجات كاسيات عاريات ماثلات مميلات .. و باسم رقي المرأة خرجت إلى النوادي و المنتديات و دور السينما و المسارح و أماكن اللهو و الفجور تشارك في الفساد ، تمارسه و تدعو إليه ..

و كانت النتيجة كما أرادها أعداء الإسلام تصدّع بنيان الأسرة المسلمة حتى ضاقت الحياة بالأزواج و الزوجات على السواء .. و أهملت الأولاد و ضعفت التربية الإسلامية للنساء .. و فقدت الروابط الأسرية حتى بلغت الأحوال درجة كبيرة من السوء و الانحطاط ما كان يحلم بها الغرب في وقت من الأوقات ..

- تدمير الانقلابات العسكرية لزرع قيادات معادية للإسلام : أدرك الاستعمار الأوروبي العسكري أن الشعوب الإسلامية لم تعد تتحمل أن ترى السترة الصفراء الأجنبية تحكمها معهما حاولت أن تدعي

الصدقة ، فكان لابد أن ترحل السترة الصفراء الأجنبية .. لكه الباطل لا يستغني عن القوة و إلا
تهاوى و سقط ، و معه ثمّ كان لابد أن يبحث عن مصدر آخر للقوة ، حتى يمضي في تنفيذ
مخططه الأثيم لإبعاد شعوب الإسلام عن الإسلام .. و هداه شيطانه إلى ما نجد فيه إلى حد
ما .. استبدال السترة الصفراء الأجنبية بالسترة الصفراء المحلية ، و عرفت المنطقة الانقلابات
العسكرية بدلاً عن جيوش الاحتلال الأجنبية .. و هي بذلك منعت إثارة المشاعر الدينية أو
الوطنية التي كانت تتحرك حيه يرى الشعب الجيوش الأجنبية قادمة تتحدى قيمه الدينية أو قيمه
الوطنية ، و معه ثمّ فقد ميّعت المقاومة أو منعتها ، فهي بلباس الوطنية نفذت المطلوب ، ليس
فقط بدون مقاومة ، بل أحياناً مع استحسان الجماهير و حماسها ..

و لكه هل انتهت تماماً وسيلة الحروب و الاستعمار التي كانت سبيل الغرب مع قبل لفرض أهدافه
و غاياته ؟ لا نستطيع أن نجيب بالنفي لأن الحروب انتهت في أغلب البلاد في صورتها العسكرية و
استبدلت بها الحرب الفكرية و النفسية لتحطيم عقيدة الأمة و مبادئها ، و لا نستطيع أن نجيب
بالإثبات لأنها لا تزال تستعمل في نطاق محدود ، و هو ما اصطلاح الغرب على تسميته بالحرب
المحدودة .. لكه رأينا أن الحرب المحدودة ارتدت ثوباً محلياً فأصبحت الجيوش العربية أو
الإسلامية تسلط لهذا الغرض ..

- **نشر المذاهب اللادينية و الشعارات الهدامة :** و هذه الوسيلة هي مع أخبت و أخطر ما واجهه
المسلمون في عصرهم الحاضر .. و رغم أن هذه المذاهب قد ساهمت في وصول البشرية في
الشرق و في الغرب إلى حالة مع الضياع و التردّي و الانحلال و التدهور الخلقي بدرجة تهدد
بزوالها رغم تقدمها المادي ، فإن الكثير مع المنتسبين للإسلام راجت بينهم هذه المذاهب و
اعتنقوها ، بل أسست أنظمة و حكومات وفق مبادئها حتى صارت مقدمة على مبادئ الإسلام ،
و أصبح الرافض لها مع المتصفيين بالتخلف و الرجعية ، بل و نقص العقل و معادة العلم ..
و يعتبر في زعمهم حجر عثرة في طريق إصلاح الحياة .. و مع المذاهب الرائجة الآن على
تعارضها و تناقضها في بلاد المسلمين : الرأسمالية - الاشتراكية - العلمانية - .. و غيرها .

المراجع :

- كتاب "مذاهب فكرية في الميزان" للأستاذ/علاء بكر - دار العقيدة

{ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب}
[آل عمران : ٨]

فهرسك المواضسك

رقم الصفحة	العنوان
2	مقدمة
4	التعريف
5	الدعوات القومية في العالم الإسلامي
5	القومية العربية
7	حكم الإسلام في الدعوة إلى القومية العربية
9	القومية الإسلامية
12	المراجع
13	الانتماء للدين و الانتماء للوطن _ تكامل لا تنافر
14	مكائة الوطن في الإسلام : العجيرة
15	حقوق المواطنين مع أهل الامة
17	المراجع
18	واجب الدفاع عن الوطن
22	المراجع
23	الأقلية الإسلامية بين الانتماء للدين و الانتماء للوطن : لمحة فقعية _ لمحة اجتماعية
25	الأقلية الإسلامية و الاندماج في المجتمع
26	الأقلية الإسلامية و العمل الإسلامي
26	المشكلات الفقهية للأقلية
28	المراجع
29	الانتماء و خطر التغريب
32	المراجع

بيانات الباحث

الاسم : رانيا المغربي
السن : ٢٧ عامًا
المؤهل : بكالوريوس هندسة
الهاتف :
عنوان المراسلات :
